# تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

ينبئ صعود الشعبوية اليوم بتحوُّلٍ هائلٍ في صورة السياسة كما عرفناها. فمنذ الحرب العالمية الثانية، ساد نموذج الديمقراطية الليبرالية في دول المعسكر الغربي، وظلَّ يخوض معركةً متعدِّدة الأصعدة ضد النموذج السوفيتي، الذي خارت قواه أخيرًا مع بداية التسعينيات. وفي أعقاب تلك المعركة، تسيَّد نموذج الديمقراطية الليبرالية ونموذج دولة الرفاه الاجتماعي، حتى بدا لبعض المُنظِّرين السياسيين أنه نهاية التحوُّلات وآخر الأنظمة السياسية وأكملها. إلَّا أن صعود الشعبوية اليوم -بخطاباتها التحشيدية الكارهة للأجانب وقادتها المُفوَّهين الذين يصوِّرون أنفسهم خصومًا للنُّخب القديمة باسم «الشعب»- قد فرض تحديًا كبيرًا أمام النموذج السياسي القديم، وهو تحدٍّ من شأنه -ربما- أن يغيِّر هذا النظام إلى غير رجعة.

وقد توالت الدراسات حول أسباب صعود هذه الظاهرة، وجذورها الخفيَّة، وموقعها من صيرورة الدولة الغربية الحديثة ونماذجها المعاصرة. وتفاوتت التحليلات بين مَنْ يرى أن الشعبوية ليست إلَّا انحرافًا مؤقَّتًا عن الثقافة الديمقراطية، وأن هذا الانحراف سيتمُّ تداركه وإصلاحه، وبين مَنْ يرى أن الشعبوية تمثِّل تطورًا طبيعيًّا للتناقض العميق الكامنِ بين الديمقراطية (بوصفها تمثيلًا للإرادة الشعبية) وبين الليبرالية (بوصفها منظومة القيم المؤطِّرة للممارسة الديمقراطية).

ضمن جدل سؤال الشعبوية وموقعها من الديمقراطية الليبرالية، وانعكاسات ذلك على مفاهيم «الدولة» و«السيادة» و«الشعب»، تأتي هذه

المحاضرات التي قدَّمها المُنظِّر السياسي الهندي البارز بارثا تشاترجي بدعوةٍ من قسم الأنثروبولوجيا في جامعة كولومبيا. وقد اختار مركز نهوض للدراسات والبحوث تقديم هذه المحاضرات مترجمةً إلى القارئ العربي للإسهام في هذا الجدل الراهن والحيوي، ولتعميق فهمنا للتطوُّرات الحاصلة في حقل النظرية السياسية، وما لذلك من انعكاساتٍ كبرى على الواقع العربي فكرًا وعملًا.

يُعَدُّ بارثا تشاترجي (١٩٤٧-...) أحد أبرز مُفكِّري مدرسة التابع، وأحد ألمع المُنظِّرين السياسيين والمؤرخين في حقل الدراسات ما بعد الاستعمارية، وهو أستاذ الدراسات الجنوب آسيوية في جامعة كولومبيا، وأستاذ العلوم السياسية في مركز الدراسات الاجتماعية في كلكتا. وقد تعرَّف القارئ العربي إلى تشاترجي من خلال كتابه المهم «الفكر القومي والعالم الاستعماري»، الذي تتبَّع تشكُّلات الخطاب القومي الهندي وعلاقته بالخطاب الحداثي الغربي، فعلًا وانفعالًا، ودرس ببراعةٍ علاقة النخبة القومية الهندية بالمجتمع المحلي والأهلي. وقد قدَّم تشاترجي في عمله ذاك -الذي تابعه في كتابه «الأمة وشظاياها»- تحليلًا مضادًّا للفرضية الليبرالية والماركسية التي كانت تلوم الفكر القومي في العالم الثالث على فشله في التحديث والوصول إلى قيم الحداثة الغربية، فهو يرى أن مأزق الفكر القومي الهندي (وفكر العالم الثالث بالعموم) هو انقطاعه عن تراثه المحليِّ وتركيباته الاجتماعية-الثقافية، مما أدَّى إلى افتقاره لجذورٍ عميقةٍ تضمن له النمو الصحي والانتشار الشعبي العضوي.

يستمدُّ تشاترجي عُدَّته المفاهيمية من الإرث الماركسي، ومن أعمال ميشيل فوكو وأنطونيو غرامشي وإدوارد سعيد. وهو يستفيد في كتابنا هذا الذي نقدِّم له من هذه المرجعيات ومن أعمال شانتال موف وإرنستو لاكلو، لتفسير الشعبوية وفهم مضامينها على مفهوم «السيادة الشعبية».

سيجد القارئ في هذا الكتاب تحليلًا لتطوُّر الدولة في الفضاء الغربي،

بدءًا من تنظيرات غرامشي عن «الدولة المتكاملة»، مرورًا بدراسة فوكو للسياسات الحيوية وتحليله لديناميكيات عمل النيوليبرالية، وكيف أدَّت هذه السياسات إلى إيصال النظام السياسي إلى حالةٍ من الفوضى والاضطراب التي هيَّأت الأرضية لظهور الشعبوية، عبر خلقِ شرائح واسعة ساخطة يُمكن تحشيدها -من قِبل قائد كاريزماتي- ضمن مقولة «الشعب» الذي يحارب النخبة الفاسدة المترهّلة. كما سيجد القارئ في هذا الكتاب تحليلًا لجذور مفهوم «السيادة الشعبية»، ودراسة لآليات الزعامة الشعبوية، التي تسعى إلى خلق هُويَّة عاطفيَّة متينة مع الشعب عبر سَرْد القصص بدل الحقائق، وتقديم الصور المشحونة عاطفيًّا، ورسم صورة عن «العدو» الخارجي الذي يهدِّد «الشعب».

إن جدَّة تحليلات تشاترجي تنبع من حقيقة أنه يستفيد من إرث العالم الثالث لفهم هذا التحوُّل الجديد في المنظومة السياسية الغربية. فعلى خلاف الفرضية الشائعة القائلة بأن التحوُّلات الكبرى تنشأ في المركز الغربي ثمَّ تنتقل إلى الأطراف، يعمل تشاترجي في المحاضرة الثالثة على دراسة تراث الشعبوية المستمر في الهند منذ نحو نصف قرن، ويقارن بين طبيعة الشعبوية الهندية ونظيرتها الغربية، ويستمدُّ من ذلك بعض الخلاصات التي يُمكن أن تُسهم في فهم طبيعة الشعبوية ومآلاتها وتنوُّعات تجاربها وسُبل الحدِّ من غلوائها.

يندرج اهتمام مركز نهوض للدراسات والبحوث بترجمة هذا الكتاب ضمن اشتغاله بحقل النظرية السياسية وسؤال الدولة وتحوُّلاتها الغربية وانعكاساتها عربيًّا. فقد خلقت الثورات العربية أسئلةً كبرى حول الدولة والمجتمع العربي، وأثارت تساؤلاتٍ أكثر عمقًا حول خصوصية الحالة العربية والبنى الفاعلة فيها على المستويات السياسية الاجتماعية والاقتصادية كافَّة. إن واجب الوقت يُحتم علينا رصد التحولات العالمية، والتفكير بضربٍ من النقد المزدوج في الآخر وتراثه وفي ذواتنا وتراثها، والتطلُّع إلى إمكانات المستقبل التي لم تتكشَّف بعدُ.

كما يدرك مركز نهوض للدراسات والبحوث أهمية مواكبة الهموم البحثية والمعرفية في العالم العربي، ويشارك من خلال هذا العمل -وأعمال أخرى صدرت- في تقديم ما قد يُسهم في تشكيل إجاباتٍ أكثر راهنيةً للواقع المعاش. حيث صدر عن المركز الترجمة العربية لكتاب «العلمانية المزيفة» لعالم الاجتماع والمؤرخ الفرنسي جون بوبيرو، الذي تناول أطروحة نقدية للتيار العلماني المتطرف في الفرنسي، وذلك على أرضية مقارنة بالنموذج العلماني الفرنسي التأسيسي. كما صدرت نسخة عربية للنص الإنجليزي الجديد لكتاب «التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني» لأستاذ العلوم السياسية ستيفن ديلو. بالإضافة إلى عددٍ من الترجمات والكتب العربية الموجودة على أجندة المركز للنشر في المرحلة المُقبلة.